

الانزياح والتضخيم في سورة آل عمران

الباحث. مسعود باوان پوري

طالب الدكتوراه في فرع اللغة العربية وآدابها بجامعة الشهيد مدني بأذربيجان

الأستاذ المشارك. أمير مقدم متقي (كاتب مسئول)

قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة الشهيد مدني بأذربيجان

الأستاذ المشارك. عباس عرب

قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة فردوسي بمشهد

الباحثة. حديثة متولي

طالبة الدكتوراه في فرع اللغة العربية وآدابها بجامعة آزاد الإسلامية واحدة گرمسار

Displacement and Magnification in Sura of Al Umran

Researcher. Masood Bawan Boori\ A Ph.D Students in the Department of Arabic/

University of Al-Shaheedmadani/ Azerbaijan Iran

Associate Professor, Dr. Amir Moqaddam Mottaqi ,Department of Arabic

Language and Literature, Azarbaijan Shahid Madani University, Tabriz,

Iran. (corresponding author)

a.moghaddam@azaruniv.ac.ir

Ass.Prof. Researcher. Abbas Arab\ Department of Arabic/ University of Al-

Firdawsi – Mashad/ Researcher. Iran

Researcher. Hadeetha Mitwali\ A Ph.D Students in the Department of Arabic/ The

Islamic University of Azad/ Karamsar

danad6206@gmail.com

Abstract

Recantation is one of the important elements that forms a base for the stylistic and linguistic issues. Researchers of form have considered the literary language as a recantation of the standard language and studied the style according to this definition. The researchers of this study attempt to examine Sura Al Umran being a recantation of the Quranic tradition depending on the descriptive-analytic method.

Key words: Holy Quran, Contemporary criticism, deviation from the rule, displacement, magnification and Al Umran.

المخلص:

العدول واحد من مكتشفات الشكلانيين المهمة واليوم يشكل أساس القضايا الأسلوبية واللسانية. والشكلانيون كانوا يعرّفون اللغة الأدبية عدولا عن لغة المعيار ويدرسون الأسلوب أيضا وفقا لذلك التعريف. واتخذوا خطوة هامة في مجال الانحراف عن لغة المعيار في بدايات القرن العشرين الميلادي وخلقوا مصطلحي الانزياح والتضخيم. القرآن الكريم المعجزة الخالدة لنبي الاسلام وإن ليس نصا أدبيا ولكنه يعتبر معجزة مذهلة من حيث اللغوي واللساني والبلاغي والذي بحاجة إلى استكشاف ودقة فريدة وخاصة. من منظور الوجهات النظر الجديدة تعتبر دراسة النصوص السابقة واحدة من الخطوات الأساسية في طريق الوصول إلى المكتشفات الجديدة. محررو المقالة

الحاضرة يحاولون أن يتطرقوا إلى دراسة سورة آل عمران من حيث التجاوز عن القاعدة القرآنية بالاستفادة من الأسلوب التوصيفي- التحليلي خلال التعريف الموجز من الانحراف والانزياح والتضخيم.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، النقد المعاصر، التجاوز عن القاعدة، الانزياح، التضخيم وآل عمران.

١-المقدمة

١-١-بيان مسألة البحث

القرآن كتاب ديني واعتقادي لجميع مسلمي العالم. هذا كتاب الحكمة والهداية يقصد تعالي البشر من الأرض إلى السماء ونزل أساسا ليخلص الانسان من هاوية الشهوات الحيوانية الرديئة ويرفعه إلى قمة السماوات والرحلات السماوية. والكتاب الذي امتزج بحياتهم بعد مضي ألف وأربعمئة سنة وكأنه اختلط بوجودهم وحياتهم تماما. ولهذا قراءة وفهم وتعليم هذا الكتاب العظيم بمنزلة عيش وحياتنا الجديدة مع القرآن. القرآن الكريم إضافة إلى علوه من كل قصة وأدب وفن، كتاب بشري. كلمة الله لها جمالية خاصة بها. في الواقع يعتبر التجميل أمرا عارضا في علم البديع وهكذا يعرف ((العلم الذي يعرف به ألوان تجميل الكلام بعد رعاية مطابقتها مع مقتضاء الحال والدلالة الواضحة)) (قزويني، بي تا: ٣٣٤). وجدير بالذكر أن هذه الصور التجميلية والفنية التي استعملت في القرآن الكريم، ليست صورة ظاهرية وسطحية بل هي صورة فنية خلقت من تعامل عناصرها وانسجام السياق بالمحتوى والفكر بالشعور والأغراض الفنية بالأغراض الدينية. هذا هو الذي أدى إلى أن التصوير القرآني لهذه الصفة المتميزة في البيان صار تصويرا مؤثرا (راغب، ١٣٨٧: ٨٦). وقد إهتم المفسرون والعلماء المسلمون بالتحقيق حول الإعجاز القرآني منذ القرون الأولى الإسلامية وذكرها وجوها متعددة، منها مع المصاديق القرآنية وشواهدنا نذكر منها: ((إعجاز القرآن)) للباقلاني و((دلائل الإعجاز)) للجرجاني و((النكت في إعجاز القرآن)) لأبي الحسن بن عيسى الرماني و((المغني)) لقاضي عبد الجبار و((بيان إعجاز القرآن)) لأبي سليمان أحمد بن محمد الخطابي و((إعجاز القرآن)) للرافعي و((التصوير الفني في القرآن)) للسيد قطب و.... طبع لا يجوز إعتبار لغة القرآن، لغة أدبية لأن مستوى مفرداته وبلاغته يكون في أعلى الدرجات اللغوية والبلاغية بحيث لا يعادله شيء من اللغات الحية والعلمية.

الميزة الأصلية للغة الأدبية التي تجعلها متميزة عن الأنواع الأخرى من اللغات، هي أن اللغة الأدبية تغير اللغة العادية بطرق مختلفة، بحيث صارت قوية ومدمجة فيها التحريف والابجاز إلى حد يمكن أن تصير معكوسة، وبالتالي تجميل لغة الأدب في غرابتها وفجأة صار عالم الأدب عندنا عالما غير مأنوس وبيتعد عن شكله العادي ويعبر عنه بالعدول والانزياح والاعتراق. القرآن الكريم في أعلى حد البلاغة والفصاحة وهو يتمتع بأحسن نوع من القاعدة الخارقة والانزياح ونحن في هذه المقالة نحاول أن نعرض مظهر آخر عظمة القرآن الكريم اللانهاية بالاستفادة من النقد المعاصر ودراسة نماذج من سورة آل عمران.

الأصول النظرية للبحث

العدول من الأصول والظواهر الجديدة في النقد الأدبي والذي حظي باهتمام كبير في البحوث الصياغية واللسانية المعاصرة. وهذا من أهم مكتشفات الشكلايين واليوم يشكل أساس المباحث الأسلوبية. هم كانوا يعرفون اللغة الأدبية ((عدولا عن لغة المعيار)) ويدرسون الأسلوب أيضا على هذا الأساس (شميسا، ١٣٨١: ١٥٧). هذه العملية تعادل ((الانزياح)) و((العدول)) في الأدب العربي ويعبرون عنها بتعابير مختلفة مثل: ((الجسرة اللغوية والتغريب والعدول اللغوي والابداع والعدول والتوسيع)) (راجع بن ذريل ١٩٩٨: ٢٥؛ رابعه، ١٤٦-١٩٩٥: ١٤٥). الانزياح يعني ((خروج التعبير عن اللغة الأصلية أو عما استعماله عادي من حيث الرؤية واللغوية والصياغية والتركيب)) (اليافي، ١٩٩٥: ٩٢). الانثروبولوجيون إهتموا إلى هذا الموضوع كثيرا واعتبروه عدولا عن القاعدة)) (فضل، ١٩٩٨: ١٥٤). ((العدول عن القاعدة في الحقل اللساني، يشير إلى أي استعمال لغوي من تطبيق دلالي حتى صياغ الجملة التي لا تراعى فيه القواعد العادية للغة)) (داد، ١٣٨٣: ٥٤٠).

الشكلية الروسية واحدة من المدارس النقد الأدبي والتي نشأت مؤثرة باللسانية. والشخصيات المشهورة لهذا المنهج، كانت عددا من اللغويين الروسي الشباب مثل فيكتور شكوفسكي ورومان ياكوبسون وأسسوا لجنتين باسم ((جمعية بحوث اللغة الشعرية)) في مدينة

بطرسبرج وجمعية ((لغويو مسكو)) في العقد الثاني من القرن العشرين لينشئوا علما مستقلا لدراسة الأدب وليعرفوا الميزات التي تتميز بها نصوص أدبية عن بقية النصوص (شميسا، ١٣٨١: ١٤٧) ولهذا ((يعرف النقد والاتجاه الشكلي مبدئيا باسم الشكلية الروسية)) (عباسلو، ١٣٩١: ٩٥) والذي ظهر في العقد الثاني من قرن العشرين (فضيلت، ١٣٩٠: ١٩٤) ((اتخذ فيكتور شكوفسكي أول خطوة في هذا المجال سنة ١٩١٤ م وينشر ((قيامه الألفاظ)))) (علوي مقدم، ١٣٧٧: ٨). يعتقد الشكلانيون بأن السياق والمحتوى لا ينفصلان وهما كشيء واحد، بعبارة أخرى السياق هو المحتوى والمحتوى هو السياق. ولهذا كان الشكلانيون يؤكدون بأن الاهتمام إلى الشكل لا يغفلنا عن المحتوى لأنهما لا يقبلان الفصل (المصدر نفسه: ٤٨ - ٤٣).

في هذا الصدد كل قسم من الأثر الأدبي من الفونيمية إلى النص يعرف ويدرس بالنسبة إلى بقية المجالات ولهذا، الجانب الأكثر أهمية من البحث، هو معرفة سياق النص (فضيلت، ١٣٩٠: ١٩٨). لنتنبه بأن غرض الشكلانيين من الشكل ليس القالب الظاهري للأثر الأدبية، بل يعتقدون بأن شكل كل أثر أدبي عبارة عن عنصر يولد سياقاً منسجماً في الإتصال مع العناصر الأخرى، شريطة أن يؤدي كل عنصر مهمته وواجبه في كل تركيب ذلك الأثر، إذا يعتبر كل أجزاء النص مثل صور الخيال والوزن العروضي والقافية والمقاطع والصامات والمصوتات وموسيقى القراءة والصناعات البديعية المختلفة و.... جزءاً من الصورة والشكل (شايفانفر، ١٣٨٠: ٤٣). واحدة من الموضوعات المهمة التي طرحها الشكلانيون عن شكل التعبير الأدبي، هي مفهوم الانزياح. طرح شكوفسكي هذا المفهوم لأول مرة واستعمل *ostranneja* اللفظ الروسي. وبعده ذكر ياكوبسن وتينيانوف هذا المفهوم في مواضع كالتغريب (احمدى، ١٣٩١: ٤٧). يبعد موضوع الانزياح الذهن عن ((الرتابة)). ((غرض الفن هو إنتقال حس الأشياء عندما يُدرك ولا عندما يُفهم، والفن يزيل الرتابة عن الأشياء بايجاد أشكال غريبة وبإضافة الصعوبة وزمان الإدراك)) (مكاريك، ١٣٨٤: ١٣). وكما يقول هاورانك-havranek، الشكلي التشيكي ((وكيفية التعبير أن يلفت الإنتباه وأن يكون غير عادي وأن يكون غير آلي مقابل كون اللغة آلية)) (صفوي، ١٣٧٣: ٣٦). والنتيجة المهمة لنظرية الانزياح، أن الفن الخالص والأدب، يسد الطريق المخاطب ولا يجعل المفاهيم في متناول اليد خلاف بعض النظريات. لأن ((الانزياح يسند أشياء إلى شيء آخر لا يمكن من حيث العقلي)) (مرتاض، ٢٠٠٥: ٧٨).

التضخيم (foregrounding) مخالف للآلية وفي الواقع يخالف مع أسلوب معين ويساعد الأدب أن يعبر عن معنى جديد بغموض وتعقيد أكثر، بينما ليست للغة المعيار هذه القابلية. ((لا شك بأن قيود الشعر الحر الذي تخلص عن قيد التساوي ووزن الشطور ورعاية القافية في مواضع معينة، ولكنه في المقارنة مع الأشعار التقليدية قليل جدا ومن الطبيعي هذا يجعل عمل الشاعر أسهل في الاستفادة من لغة كاملة وأيضاً يجعل اللغة خاضعة لطلبات الشاعر، بينما مقارنة الأشعار التقليدية مع شعر الحر تظهر نتيجة معكوسة (پورنامداريان، ١٣٨١: ١٦٢). يعتقد ياكوبسن بأن التجميل يحصل عن طريق التضخيم (صفوي، ١٣٨٣: ٤٥).

التجديد والمحاولة على الحصول على حرية الرأي وعرض التيارات الفكرية للشاعر من عوامل إنتشار العدول في أعمال شعراء العقود الأخيرة. ((يعتقد الشكلانيون أنه من بين الآلية والتضخيم، التضخيم هو عامل ايجاد لغة الأدب. وهم يعتقدون بأن التضخيم على شكلين: الاول أن يعدل بالنسبة إلى القواعد الحاكمة على اللغة الآلية والثاني: أن تضاف قواعد على القواعد الحاكمة على اللغة الآلية. من هذا المنطلق سيظهر التضخيم عن طريق العدول وزيادة القاعدة (المصدر نفسه: ٤٠)

١-٣- خلفية البحث

تمت بحوث قيمة في مجال العدول وبلغات مختلفة حتى الآن ولكن لا نتيحنا الفرصة أن نذكر كلها وفي التالي نشير إلى عدد لا بأس به من تلك البحوث: حميد رضا مشايخي وسيدة زينب خدادي (١٣٩١) في مقالة ((دراسة العدول في بعض أشعار نزار قباني)) في فصلية نقد الأدب المعاصر العربي بيزد، السنة الثانية، الرقم الثاني/ حشمت الله زارعي كفايت وناصر محسن نيا (١٣٩٢) في مقالة ((الشكلية والانزياح في شعر ابوالقاسم الشابي)) في فصلية نقد الأدب المعاصر العربي بيزد، السنة الثالثة، الرقم السابع المتتالي/علي نظري ويونس وليئي (١٣٩٢) في مقالة ((ظاهرة الانزياح في شعر أدونيس)) في مجلة دراسات الأدب المعاصر، السنة الخامسة، الرقم ١٧/ محمد نبي احمدى وعبد الصاحب نوروزي (١٣٩٢) في مقالة ((مظاهر التجاوز عن القاعدة في سورة مريم (س)))، مجلة البحوث

الأدبية -القرآنية بأراك، السنة الأولى، الرقم الثالث/ عباس گنجعلي وآزاده قادري ومحسن سيفي (١٣٩٢) في مقالة ((التجاوز عن القاعدة في الصحيفة السجادية)) (التضخيم في المستوى الصوتي واللفظي والنحوي والدلالي) مجلة بحوث القرآن والحديث، السنة السادسة والاربعين، الرقم الثاني/ هومن ناظميان (١٣٩٣) في مقالة ((الانزياح والتضخيم في سورة الواقعة))، مجلة اللغة وأدب العربي مشهد، الرقم العاشر. ولكن بحد الان لم نجد مقالة تطرقت إلى سورة آل عمران من هذا المنظر وهذه المقالة تستطيع أن تكون جديدة وحديثة في نوعها.

١-٤- أسئلة البحث

والمقالة الحاضرة تهدف إلى الإجابة عن الأسئلة التالية

-كيف ظهر الانزياح في سورة آل عمران؟

-أي من أداة التجميل استخدمت في هذه المقالة كثيرا؟

١-٥- منهجية البحث

استفاد البحث الحاضر من أسلوب مكتبي واسنادي عن طريق توصيفي-تحليلي؛ بحيث تدرس مصادر العدول أولاً وبهذا الاتجاه يتطرق إلى تحليل الانزياح في سورة آل عمران.

٢- المناقشة الأصلية للبحث

سورة آل عمران تشمل على ٢٠٠ آية وقد نزلت في مدينة النبي (ص). جاءت عن فضيلة قراء هذه السورة: ((قال النبي (ص) عن فضيلة هذه السورة: من قرأها في طلوع يوم الجمعة، الله سبحانه وتعالى والملائكة يصلون عليه حتى غروب الشمس (زند وكيلى، ١٣٩١: ١٦)). المحتوى الكلي للسورة، توحيد وصفات الله والمعاد وبقية المعارف الاسلامية وجهاد والمناقشة عن بعض القواعد الاسلامية وضرورة الصبر في مواجهة الصعوبات والبلايا الالهية وذكر جزء من تاريخ الانبياء (عليهم السلام). في هذه السورة أشير إلى ولادة عيسى ويحيى (عليهما السلام) (راجع مكارم الشيرازي والزملاء، ١٣٨٨، المجلد الثاني: ٤٠٨). هذه السورة معروفة بأسماء أخرى مثل: ((الزهاء والكنز والمعينة والمجادلة وسورة الاستغفار وطيبة)) (راجع الطبري، ١٤٢٢، المجلد السادس: ١٥١؛ الفخر الرازي، ١٣٧١، المجلد السابع: ١٥٤؛ السيوطي، ١٤٠٤، المجلد الثاني: ٤٥)

الاشكال الاعجازية كثيرة في القرآن الكريم ونشير إلى بعض منها:

١-توسع العبارات والمعاني وقواعد وآرائها ٢-انطباق آيات القرآن الكريم بمكتشفات الآراء العلمية ٣-الاخبار عن الاحداث القادمة ٤- فصاحة الالفاظ وبلاغة العبارات وقوة تأثيرها (راجع خلاف، ١٩٩٣: ٢٧ - ٣١). ولهذا نتطرق إلى دراسة هذا الاعجاز على أساس نظرية الانزياح في التالي.

٢-١- الانزياح الغير اللغوي

٢-١-١- المعجزات

وهنا نشير إلى بعض المعجزات الالهية التي ذكرت خلال الآية. المعجزات قوة خاصة من جانب الله تبارك وتعالى إلى رسله ليساعد الأنبياء (عليهم السلام) في تنفيذ المهمة الالهية، ضمن عرض القوة الالهية. زكريا (ع) وزوجته كانا في سن الكهولة وكان لا ترجى ولادة طفل منهما في الحالة العادية ولكن الله رزقهما ابنا اسمه يحيى بإذنه. ضمن أن لفظ يحيى دخل اللغة العربية لأول مرة ولهذا أدى القرآن الكريم إلى ازدياد الألفاظ.

«قَالَ رَبِّ اُنِّىْ يَكُوْنُ لِىْ غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِى الْكِبَرُ وَامْرَأَتى عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكِ قَالَ اللهُ يَفْعَلْ مَا يَشَاءُ * قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لىْ آيَةً قَالَ اَنْتَ كَ اَلَّا تُكَلِّمُ النَّاسَ ثَلَاثَةَ اَيَّامٍ اِلَّا رَمْزًا وَادْكُرْ رَبَّكَ كَثِيْرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشْرِ وَالْاِثْنَارِ» (آل عمران/ ٤١ و ٤٠).

وهناك آيات أخرى عن معجزة تكلم موسى (ع) في المهد وولادته وعلى الرغم من أنه لم يمسس أحد مريم (س) ووقعت هذه المعجزة بإذن وإرادة الله فقط «وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ» قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسَّ مِنِّي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ «(آل عمران/ ٤٧ و ٤٦)

التعبير عن معجزات عيسى (ع) في شفاء المرضى وإحياء وإماتة الأحياء بإذن الله وأيضاً علم عيسى (ع) على ما أكلوا وما ذكروا وكنزوا في بيوتهم من المعجزات المذكورة في السورة « وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ «(آل عمران/ ٤٩)

٢-١-٢- البينات (الآيات)

في هذا القسم تطرقنا إلى دراسة آيات تفسر موضوعات ومساائل لم يكونوا يهتمون إليها وفي الحقيقة لم تكن موجودة؛ قبل ظهور دين الاسلام المبين كان الناس يعبدون الله ولكن هذه العبادة مثلت في شكل الاصنام ولكن بظهور دين الاسلام نكر الله بصفات وحيدة ودخلت ألفاظ لم تكن موجودة من قبل مثل القيامة والجنة والجحيم ... ونرى عددا منها في سورة آل عمران.

٢-١-٢-١- العلم الالهي

علم الله علم لا يتناهي ويؤكد القرآن الكريم بأنه علم على وعي على ما في أذهان وقلوب الناس وأشير إلى هذا الموضوع في سورة آل عمران مرات؛ في الآية التالية يؤكد الله بأن علمه يحيط على ما في السموات وما في الارض « إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ »(آل عمران/ ٥).

في آية ٢٩ أيضاً أكد الله تبارك وتعالى على هذا الموضوع ثانية « قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْذَرُوهُ يُعْلَمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ »(آل عمران/ ٢٩).

٢-٢-١-٢- وصف الجنة

الجنة والجحيم دخلا في حقل الألفاظ بنزول دين الاسلام وكانا دافعين لهم ليحصلوا على بغيتهم بفعل الخيرات. وبالنظر إلى الجو الحار واليابس لشبه الجزيرة العربية ورغبة الاعراب الوافرة إلى بيئة وخضراء وزوجات متعددة، قد عرف القرآن الكريم معنوياتهم وشخصياتهم ووعد المؤمنين جنات تجري من تحت أشجارها الانهار وفيها أزواج مطهرة؛ وبالطبع جدير بالذكر أن وجود كلمة ((رضوان)) تدل على قوة القرآن في إضافة الالفاظ «قُلْ أُوْنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَُمُ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ»(آل عمران/ ١٥).

والله تبارك وتعالى تطرق إلى وصف الجنة مرة أخرى ويقول عرضها يعادل عرض السموات والارض «وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ»(آل عمران/ ١٣٣).

٢-٢-١-٣- وصف القيامة

القيامة أيضاً من الألفاظ التي صنعت منذ ظهور الاسلام وإن كان أشير إليها في الاديان الاخرى ولكنها بظهور الاسلام ظهرت بظهور الاسلام بمعناها الحقيقي وقد ذكرت أوصاف كثيرة منها خلال الآيات القرآنية؛ نرى الحديث في سورة آل عمران عن يوم لا شك فيه ويجمع الناس فيه جميعا «رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ»(آل عمران/ ٩).

تكرر هذا الموضوع في آية أخرى وقيل سيرى الناس ووفيت كل نفس ما كسبت وهو لا يظلمون «فَكَيْفَ إِذَا جُمِعُنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ»(آل عمران/ ٢٥).

وأيضاً نرى آيات كثيرة أخرى في هذه السورة ولا مجال لذكر جميعها هنا مثل: وعد انتصار المؤمنين على الرغم من قلة عددهم (آية ١٢) وشهادة أعمال الانسان في حضور الله (آية ٣٠) ووجود الرزق في محراب مريم (س) (آية ٣٧) وحياة عيسى (عليه السلام) (آية ٥٥) والامداد الالهي إلى المؤمنين في يوم بدر (آيات ١٢٥ و ١٢٤)

٢-٢-٢- الانزياح اللغوي

وهنا أشير إلى بعض القواعد البيانية والبديعية في الآيات الروحانية للقرآن الكريم

٢-٢-٢-١- التشبيه

واحد من الفوائد المهمة هو الوصف والذي يعتبر من أجمل أساليب التعبير عن المعنى. قال السكاكي في تعريف التشبيه ((التشبيه اشتراك بين المشبه والمشبّه به من جانب وافتراق من جانب آخر)) (سكاكي، بي: ١٤١). ((التشبيه بمعنى المماثلة بين شيئين أو أكثر يراد اشتراكهما في صفة أو أكثر؛ وذلك بأدوات وفي تحقيق أهداف المتكلم)) «(هاشمي، ١٣٨٣: ٢٢٠). الأستاذ جلال الدين الهامبي يرى التشبيه تمثيل شيء إلى شيء في صفة (هامبي، ١٣٦١: ٢٢٧). يرى الدكتور وحيدان كاميار الاحاسيس والعاطفة في الاتصال بين أمرين متغيرين عاملاً مهماً في التشبيهات الجميلة (وحيدان كاميار، ١٣٨٦: ١٥). يقول الدكتور بور نامداريان عن التشبيه ((التشبيه قلب صور الخيال؛ لأن جميع الصور ترتبط بالتشبيه بنوع ما وتتبع منه ظاهراً أو باطناً)) (بورنامداريان، ١٣٧٤: ١٨). وهكذا عرفوا التشبيه ((تشبيه شيء إلى شيء في معنى ما وبأدوات معينة والتعبير عن مشاركة شيئين في وصف من الأوصاف بالفاظ معينة)) (رجايي، ١٣٧٢: ٢٤٤ / جرجاني، ١٣٧٤: ٥٠ / تقازاني، ١٣٨٩: ١٨٧). ويعتقدون بأن أحسن التشبيه هو: ((أن تكون الصفات المشتركة فيه كثيرة إلى حد تتذكر نوعاً من الاتحاد)) (شفيعي كدكني، ١٣٧٠: ٥٦). في الآية التالية يشير الله تبارك وتعالى إلى مصير الذين كذبوا ببيات الله بطريقة التمثيل وبهذا الطريق يحذر الناس من تكذيب آياته «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ * كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ» (آل عمران / ١١ و ١٠).

ونشاهد مرة أخرى بأن الله تبارك وتعالى يستخدم التشبيه لتحذير الناس من التفرقة وإيجاد الخلاف «وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ» (آل عمران / ١٠٥)

يشبه الله تبارك وتعالى عفو الأشخاص نفاقاً وتزويراً إلى مزرعة تهلكها السموم ويرى سبب هذا العمل في ظلمهم أنفسهم «مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ» (آل عمران / ١١٧)

٢-٢-٢-٢- الاستعارة

الاستعارة من أنفع أدوات التصوير لكل شاعر ودون شك بلاغتها أكثر من التشبيه لأن إن ندعي التماثل والتشابه في التشبيه، ولكن التماثل والتشابه يسيطر على الاستعارة. الاستعارة في اللغة أخذت من استعار المال يعني أراد منه أن يستعيره المال (ابن منظور، ١٤٠٥: ٦١٨). وفي الاصطلاح بمعنى استعمال اللفظ في غير معناه الحقيقي بعلاقة مشابهة توجد بين المعنى الحقيقي والمجازي ولكن يجب أن تشمل على القرينة التي تمنع عن إرادة المعنى الحقيقي (تقازاني، ١٣٨٩: ٢٢١). ((الاستعارة استعمال اللفظ في غير معناه الحقيقي وموضوع له لأجل مناسبة ما وتلك المناسبة تسمى بعلاقة في مصطلح أهل الفن (ثروت، ١٣٦٤: ٣). يقول ميرجلال الدين الكزازي عن الاستعارة ((الاستعارة واحدة من الفنون الشاعرية التي يحاول بها الخطيب أن يثبت حديثه في ذهن المخاطب، إذا الاستعارة مجالها أضيق وأخفى وتتسع للقارئ (كزازي، ١٣٨١: ٩٤).

والغرض من ((بصوركم)) في الآية التالية هو ((يخلقكم)) وهو من جنس الاستعارة المصروفة التبعية الوفاقية المجردة «هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» (آل عمران / ٦).

والله تبارك وتعالى عندما يتكلم عن مصير الكافرين، يبشّرهم بالعذاب الاليم و((بشّرهم)) هنا بمعنى ((أنذرهم)) وهي من نوع الاستعارة المصروفة التبعية العنادية المجردة «إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ» (آل عمران / ٢١).

وفي آية أخرى يتكلم الله تبارك وتعالى عن إيلاج الليل في النهار والنهار في الليل وفيها يحلّ ((تولج)) محلّ ((تدخل)) والتي من نوع الاستعارة المبرحة التبعية الوفاقية المجردة «تَوَلَّجَ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَتَوَلَّجَ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ وَتَخَرَّجَ الْحَيُّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتَخَرَّجَ الْمَيِّتُ مِنَ الْحَيِّ وَتَرَزَّقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ» (آل عمران/ ٢٧) وطبعاً يشير الله تعالى إلى إخراج الأحياء من الأموات في هذه الآية ليفهمنا أن الغرض منه هو حياة الموجودات عليها لأنه عندما أدخلت الحياة في الأرض، خلقت الموجودات الحية من مواد ميتة (راجع مكارم شيرازي وهمكاران، ١٣٨٨، ج ٢: ٤٩٦ - ٤٩٥). ونشاهد الاستعارة في آيات أخرى مثل آية ٧١ و ٧٧ و ١٨١ و ١٨٣.

٢-٢-٣- الكناية

الكناية علامة من علامات البلاغة ومن اسرار البلاغة أنها تعرض الحقيقة بأشكال متعددة وبالبرهان. ومن أسباب الأخرى لبلاغة الكناية أنها تلبس المعاني لباس الحس والاحساس وايضا من ميزات الكناية أننا نستطيع أن نعبر عن الموضوعات المستترة بالإيماء والاشارة (هاشمي، ١٣٨٣: ٣٠٩). ((الكناية في اللغة بمعنى الكلام المستتر وفي الاصطلاح بمعنى كلام له معنيان، المعنى القريب والمعنى البعيد وهذان المعنيان مترابطان معا (ثروت، ١٣٦٤: ٣).

في سورة آل عمران نشاهد ثلاث استعارات: عض الأنامل كناية عن الغضب «هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لِقَاكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَصَوْا عَنْكُمْ الْأَنْمَالَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ» (آل عمران/ ١١٩)؛ في سورة أخرى النوم القصير كناية عن الأمانة «ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نِعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ» (آل عمران/ ١٥٤) وأيضا في آية ١٨٠ مابلحو به كناية عن إيتاء الزكاة «وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ» (آل عمران/ ١٨٠).

٢-٢-٤- المطابقة

المطابقة تعني مجانبية شيئين مخالفين لغويا وفي المصطلح استعمال الألفاظ المخالفة والمتضادة في الشعر أو النثر مثل الجميل والقيبح. المطابقة من الصناعات المعنوية للبديع والتي تؤدي إلى اللذة الذهنية للقارئ عن طريق خلق التناقضات. يساوي المطابقة مع مراعات النظير أحيانا لأنه هناك علاقة بين الكلمات المتضادة أيضا بما أن فيها تداعي البعض بعضا آخر وقد سمو المطابقة بتضاد التناقض والتقابل والطباق (ميرصادقي، ١٣٨١: ٢٣٨).

استعملت في سورة آل عمران عدة تضادات وطباقات والتي تضاعف على جمال الفريد لهذه السورة مضاعفة مثل: «قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (آل عمران/ ٢٦) وفيها أشير إلى القوة الإلهية في إعطاء الملك أو العزة أو الإذلال. والآية الأخرى تبين أن الحسنات والسيئات تجسد في أشكال وتحضر في القيامة «يَوْمَ نَجِدُ كُلَّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ» (آل عمران/ ٣٠). وأيضا نرى تضادات كثيرة خلال آيات ٥٠ و ٨٣ و ١٠٤ و ١٢٠.

النتيجة

التجاوز عن القاعدة يستعمل في اللغة الأدبية غالبا ولكن نتيجته ليست مقصورة على الأدب بل هي تتصل بجميع العلوم والفنون وجوانب الحياة البشرية اتصالا وثيقا. القرآن الكريم كتاب سماوي ويفوق الكلام البشري ونشاهد فيه أنواع الانزياح في قالب لغوي وغير لغوي. سورة آل عمران من أغنى السور من هذا المنظر. في هذه السورة نشاهد معجزات عن عيسى عليه السلام وولادته العجائبية؛ وأيضا نشاهد الانزياح الغير اللغوي في هذه السورة في قالب المعجزات والآيات والتي عبرت عنها فيما مضى. وفي مجال الانزياح اللغوي شهدنا

التشبيهات الجميلة والاستعارات القوية والكنائيات اللطيفة وبقية الصناعات الأدبية خلال السورة. ولهذا نستطيع أن نثبت اعجاز وعجائبية هذا الكتاب السماوي ضمن إثبات هذه النظرية عنه.

المصادر والمراجع

- ١- قرآن كريم.
- ٢- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (١٤٠٥)، لسان العرب، قم: نشر ادب الحوزه.
- ٣- احمدي، بابك (١٣٩٠)، ساختار وتأويل متن، چاپ دوازدهم، تهران: مركز.
- ٤- بن ذريل، عدنان (١٩٩٨)، النقد والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.
- ٥- پورنامداریان، تقی (١٣٧٤)، سفر در مه (تأملی در شعر احمد شاملو)، تهران: زمستان.
- ٦- پورنامداریان، تقی (١٣٨١)، خانه ام ابری است، چاپ دوم، تهران: سروش.
- ٧- تفتازانی، سعدالدین (١٣٨٩)، شرح المختصر، چاپ ششم، قم: انتشارات اسماعیلیان.
- ٨- ثروت، منصور (١٣٦٤)، فرهنگ کنایات، چاپ اول، تهران: چاپخانه سپهر.
- ٩- جرجانی، عبد القاهر (١٣٧٤)، اسرار البلاغة، ترجمه جلیل تحلیل، چاپ چهارم، تهران: دانشگاه تهران.
- ١٠- خلاف، عبد الوهاب (١٩٩٣)، علم أصول الفقه، چاپ دوم، الجزائر: الزهراء للنشر والتوزيع.
- ١١- داد، سیما (١٣٨٣)، فرهنگ اصطلاحات ادبی، تهران: مروارید.
- ١٢- راغب، عبد السلام احمد (١٣٨٧)، کارکرد تصویر هنری در قرآن کریم. ترجمه: حسین سیدی، تهران: سخن.
- ١٣- ربابعه، موسی (١٩٩٥)، الانحراف مصطلحاً نقدياً» مجلة مؤته للبحوث والدراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد ١٠، ش ٤.
- ١٤- رجاوي، محمد خليل (١٣٧٢)، معالم البلاغة، چاپ سوم، شیراز: دانشگاه شیراز.
- ١٥- زندوکيلي، سيدفرخ (١٣٩١)، انوار آسماني از فضائل رحمانی، چاپ اول، تهران: مؤسسه انتشارات نشر کتاب.
- ١٦- سكاكي، ابي يعقوب بن ابي بكر (بي تا)، تلخيص المفتاح، قم: بي نا.
- ١٧- سيوطي، عبد الرحمن بن ابي بكر (١٤٠٤)، الدرر المنثور في التفسير المأثور، بيروت: دار الحديث.
- ١٨- شايگان فر، حميد رضا (١٣٨٠)، نقد ادبي، معرفي مكاتب نقد، تهران: انتشارات دستان.
- ١٩- شفيعي كذکني، محمد رضا (١٣٧٠)، صور خيال در شعر فارسي، چاپ چهارم، تهران: انتشارات آگاه.
- ٢٠- شمیسا، سيروس (١٣٨١)، نقد ادبي، تهران: فردوس.
- ٢١- صفوي، كوروش (١٣٨٣)، از زبان شناسي به ادبيات، چاپ سوم، تهران: سوره مهر.
- ٢٢- طبري، ابو جعفر محمد بن جرير (١٤٢٢)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، چاپ اول، قاهره: دار هجر.
- ٢٣- عباسلو، احسان (١٣٩١)، «نقد صورتگرایی» برگرفته از کتاب ماه ادبیات، شماره ٦٥ (پیاپی ١٧٩).
- ٢٤- علوي مقدم، مهيار (١٣٧٧)، نظريه هاي نقد ادبي معاصر، تهران: سمت.
- ٢٥- فخر رازي، محمد بن عمر (١٣٧١)، تفسير كبير مفاتيح الغيب، ترجمه علي اصغر حلبی، تهران: نشر اساطير.
- ٢٦- فضل، صلاح (١٩٩٨)، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، چاپ اول، قاهره: دار الشروق.
- ٢٧- فضيلت، محمود (١٣٩٠)، اصول وطبقه بندي نقد ادبي، چاپ اول، تهران: انتشارات زوار.
- ٢٨- قزوینی، جلال الدين (بي تا)، الإيضاح في علوم البلاغة، تصحيح جمعي از اساتيد دانشگاه الأزهر، القاهرة: مطبعة السنة المحمدية.
- ٢٩- كزازی، مير جلال الدين (١٣٨١)، زیباشناسي سخن پارسي، چاپ ششم، تهران: نشر مركز.

- ٣٠- مرتاض، عبد الملك (٢٠٠٥)، التحليل السيميائي للخطاب الشعري « تحليل بالإجراء المستوياتي لقصيدة شناشيل ابنة الجلي، دمشق: اتحاد الكتاب العرب.
- ٣١- مكارم شيرازي، آيت الله مكارم شيرازي وهمكاران (١٣٨٨)، تفسير نمونه، چاپ سي وپنجم، تهران: دار الكتب الإسلامية.
- ٣٢- مكارم، ایرناریم (١٣٨٤)، دانشنامه نظریه‌های ادبی معاصر، ترجمه مهران مهاجر ومحمد نبوي، چاپ اول، تهران: آگه.
- ٣٣- میر صادقی (ذو القدر)، میمنت (١٣٨١)، واژه‌نامه‌ی هنر شاعری، چاپ سوم، تهران: نشر کتاب مهناز.
- ٣٤- هاشمی، سید احمد (١٣٨٣)، جواهر البلاغة، چاپ چهارم، قم: نشر قدس رضوی.
- ٣٥- همایی، جلال الدین (١٣٦١)، فنون بلاغت وصناعات ادبی، چاپ پنجم، تهران: انتشارات توس.
- ٣٦- وحیدیان کامیار، تقی (١٣٨٦)، «تشبیه، ترفند ادبی ناشناخته»، فصل‌نامه‌ی تخصصی ادبیات فارسی دانشگاه آزاد اسلامی واحد مشهد، شماره ١٣، ص ص ١٩-٧.
- ٣٧- الیافی، نعیم (١٩٩٥)، أطياف الوجه الواحد، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.